طبائع القرود

ذهب بعض الناس من قديم الزمان الى ان الكائنات الارضيَّة متولِّد بعضها من بعض وما منهم من تعب في اثبات هذا المذهب وجمع الادلَّة الكثيرة على تأييدهِ مثل الشهير دارون الذي اوردنا ترجمتهُ في هذا الجزء ولذلك صار هذا المذهب ينسب اليهِ. ولما كان القرد اقرب المخلوقات الى الانسان زعم البعض ان الانسان مرتقٍ منهُ وشاع هذا الزعم عند كثيرين من العامَّة والخاصَّة مع ان اكثر العلماء لا يقولون بهِ وجهد ما يقوله المجازمون بترقي الانسان من الحيوان انهُ هو وبعض القرود من اصر واحد مفقود. ولما كان الحكم في هذه المسئلة مبنيًّا على ما بين الانسان والقرد من المشابهة والمخالفة خلقًا وخلقًا رأينا ان نفرد هذا الفصل لذكر طبائع القرود وسنقصر الكلام فيهِ على اشهر انواعها وهي الشمپنزي والأوران والغورلا والجبون وبعض القرود الاميركيَّة

الشمپنزي

الشكل ١

ومن اشبه القرود بالانسان واقدرها على المشي منتصبًا وزاويهِ وجههِ ٣٥° بقطع النظر عن العظم البارز فوق عينيهِ ويختلف جسدهُ عن جسد الانسان في العظام والعضلات وباقي الاعضاء بان لهُ ثلاثة عشر زوجًا من الاضلاع وللانسان اثنا عشر زوجًا وبشكل اعضائهِ ونسبتها بعضها الى بعض. وجلدهُ مغطى بشعر طويل متكاثف على صدغيهِ ويقل منهما وحاجباهُ واهدابهُ قليلة الشعر. وفي شفتيهِ ولا سيَّما السفلى شعر قليل وما بقي من وجههِ فامرد اجعد. واطول شعرهِ على مرفقيهِ واكتفهِ على ظهرهِ. واصابع يديهِ ورجليهِ وراحتاهُ واخمصا قدميهِ خالية من الشعر. واذناهُ كبيرتان وانفهُ افطس صغير جدًّا وشدقهُ واسع وشفتاهُ رقيقتان وابهاما يديهِ صغيران جدًّا وابهاما رجليهِ كبيران وقدماهُ تشبهان يديهِ كاقدام كل القرود وهو المصور في الشكل الاوَّل. ووطنهُ غربي افريقية حيث البلاد كثيرة الجبال والوهاد والغياض. والاشجار كثيرة الاثمار طيبتها. وقال كيفيه انهُ يتأجَّل آجالًا ويتسلح بالحجارة والعصي ويدفع الفيل والانسان وقد يهجم على مساكن الناس ويقود نساءهم سبايا وهذا وان ظهر من الغرابة بمكان لا يزال سكان تلك البلاد يؤيدونهُ ولكن ليس لهُ ثبت علي على ما نعلم. وقال كاسل انهُ يبني كوخًا مثل اكواخ الناس ويغطيهِ باوراق الاشجار لتنام فيهِ انثاهُ وصغارهُ. واذا اصطادهُ صيَّاد بالرصاص تهجم الاحياء على الصيَّاد ولا ترتد عنهُ حتى يعطيها بندقيتهُ التي اطلق الرصاص بها فتكسرها اربًا اربًا وترتدُّ حاسبةً انها ثأرت قتيلها. وقال سيرس ان الشمپنزي يبلغ اشدهُ بين السنة التاسعة والعاشرة من عمرهِ وان قامة البالغ منهُ من اربع اقدام الى خمس وانهُ شديد

القوة يكسر القضيب الذي لا يقدر على ليّه رجلان وان آجاله تسير متساوية بالعصي واذا دنت من الخطر صرخت صراخًا شديدًا كأن باغتته داهية صماء

ومن طبائع هذا الحيوان انهُ يألف بسهولة فان واحدًا منهُ أُمسك مرةً وأُتي بهِ الى بلاد الانكليز فالف حالاً على التجربة الذين اتوا بهِ وكان يعانقهم عناق الاحبَّة . وصنعوا لهُ ثيابًا فكان يلبسها ويعجب بها وما لم يكنهُ لبسهُ منها يستعين باحد الركاب على لبسهِ وكان ينام ليلاً في فراش صنعوهُ لهُ ويلتحف بالحاف . وقال النبطان يابين انهُ ابتاع واحدة من اناث الشمبنزي ولما اتى بها الى المركب صافحت بعض النوتية ونفرت من البعض ثم التفتهم كلهم ما عدا واحدًا لبثت تنفر منهُ . وكانت تبش في وجه كل مَنْ اعطاها شيئًا من الحلوى وبقيت على ما كانت عليهِ من طلاقة الوجه والجذل مدة قيام المركب في الاقاليم الحارة وحالما بلغ الاقاليم المعتدلة صارت تلجأ الى الاماكن الدافئة وتتدثر بالثياب . وكانت تأكل من كل المآكل النباتية ولم تكن تحب اكل اللحم ولا شرب الخمر ثم عُوِّدت على الخمر فاعتادتهُ وبقيت تكره العرق وما شابههُ من الاشربة القوية . وسرقت يومًا قنينة خمر وفتحتها وشربت ما فيها وكانت تحب القهوة وكل انواع الحلوى وتعلَّمت الاكل بالملعقة والشرب بالكاس وكانت تفرح برؤية المعادن اللامعة وتعجب بلبس الثياب وتخاف الاسلحة النارية . ولمَّا بلغت ليفربول مرضت وكانت تئنُّ انينًا شديدًا وضاق نَفَسها حتى ماتت

وكانت واحدة اخرى في سفينة تساعد البحرية في نشر الشراع وحبك الحبال . وفي احد الايام ظن رئيس المركب انها اذنبت فضربها ضربًا مؤلمًا فوقفت امامهُ تلتقي ضرباتهِ بيديها وكانها تتوسل اليهِ ان يشفق عليها ثم امسكت عن الطعام خمسة ايام متوالية لما المَّ بها من الغيظ وماتت في اليوم الخامس

وذكر داروِن ان الشمبنزي يكسر الجوز بالحجر وهو في حالتهِ البريرية ويبني مصاطب ينام عليها

الأُران

الشكل ٣

الأُران او الأُران اوتان ومعناها الانسان الوحشي قرد وطنهُ غابات ملقا والهند الصينية وبعض الجزائر المجاورة لها وهو يختلف عن الشمبنزي والغورلا الآتي ذكرهُ بكثرة بروز فكَّيهِ وكبر انيابهِ وعرض قواطعهِ وطول ذراعيهِ وفي ان اضلاعهُ اثنا عشر زوجًا فقط مثل الانسان وهو صغير الاذنين طويل الاصابع يتعرش الاشجار وينتقل من شجرة الى شجرة متدلدلاً بيديهِ ولا يمشي منتصبًا ولكنهُ يمشي على الارض متوكئًا على يديهِ وهو قابض اصابعهُ ويعيش منفردًا وعلوهُ لا يبلغ خمس اقدام وجسدهُ مغطًّى بشعر احمر مسمرّ يبلغ طولهُ على ظهرهِ وذراعيهِ خمسة قراريط او ستة لكنهُ قصير جدًّا على قفا يديهِ وقدميهِ وللذكر منهُ لحية طويلة والانثى بلا

لحية وراحتاهُ خاليتان من الشعر وعيناهُ قريبتان احداهما من الاخرى وانفهُ افطس لا يبرز عن سطح وجههِ الاَّ قليلاً عند مخرَيه . ولهُ تحت ذقنهِ جلد كالغدة يتمخ عند الغضب ولصغارهِ اسنان حليب تقيم مدَّة ثم تسقط وتنبت مكانها الاسنان الدائمة مثل صغار الانسان والفكَّان في صغارهِ غير بارزين كما في كبارهِ . وصغارهُ لا تبلغ اشدها الاَّ بين السنة العاشرة والخامسة عشرة من عمرها . وصدرهُ واسع وبطنهُ بارز واصابعهُ صغيرة مستدقة وقدماهُ طويلتان ولها اصابع كاصابع يديهِ وعقبان كعقب قدم الانسان وابهاماها قصيران لا ظفر لها . ونقل داروِن عن بسكوف ان دماغ الأُران مثل دماغ الانسان في كل تلافيفهِ الجوهرية وقال انهُ يبني مصطبة ينام عليها كالشمبنزي وانهُ رأى أُرانًا مثهُ يُدخل طرف عصا في شق ويشدُّ عليها من طرفها الآخر كما يفعل الانسان بالمخل ورأى أُرانة تغطّي بحرام عندما يريد صاحبها ان يضربها . وان الأُران يتغطّى ليلاً في غياضهِ باوراق البندانوس

وقال بيرد ان الأُران يتعلم كثيرًا من اعمال البشر فيصير قادرًا على دق المواد في الاجران واستقاء الماء من الابهر بالجرار وقال دهِ لابروس انهُ ابتاع أُرانين كانا يجلسان على المائدة ويأكلان بالسكين والشوكة ويشربان الخمر وكان اذا اعوزها شيء من الطعام يشيران الى الفتى الذي يخدم على الطعام ان يأتيها بهِ فاذا ابى امسكا يديهِ وعضاهُ وربياهُ على الارض . وكان عند بلاقسبيني أُرانان ذكر وانثى وكانا متعادين كثيرًا في عوائدها وكانت الانثى كثيرة الحياء حتى اذا التفت اليها انسان واطال نظرهُ فيها تطرح نفسها على صدر زوجها وتغطي وجهها

ومنذ اكثر من مئة سنة جُلبت أُرانة من بورنيو الى هولندا وكانت صغيرة السن لا يزيد علوها عن قدمين ونصف . قال واصفوها انها كانت انيسة هادئة لا تنتصب الاَّ عند الاضطرار وتقضي غالب وقتها قاعدة القرفصاء وتاكل من كل الاطعمة التي تقدَّم لها ولكن طعامها الغالب الخبز والجذور والاثمار واللحم المطبوخ وتحب البيض فتكسر البيضة باسنانها وتمتص ما فيها مصًّا وتشرب الماء والخمر من الكاس كما يشرب الانسان وتمسح شفتيها وتخلل اسنانها بالخلال كما يتخلل الناس . وفي احد الايام رأت حارسها فتح قفل قيدها بمفتاح ثم قفلهُ فلما دخلت هي عودًا في ثقب القفل وادارتهُ فيهِ تحاول فتحهُ والظاهر انها فتحت لانها فكَّت القيد وهربت ولمَّا أُمسكت لم يقدر على تقييدها الاَّ اربعة رجال . وكانت تجلس على المائدة وتتناول الطعام بالملعقة او بالشوكة وتصب الشراب في المدح وتدقهُ بكاس من تشرب معهُ وتضع فنجان الشاي في صحنهِ وتضع فيهِ سكرًا وتصب فيهِ الشاي وتتركهُ حتى يبرد ثم تشربهُ

ومن اغرب ما يحكى عن الأُران ان نفرًا من البحرية نزلوا في بقعة من صومطرا كثيرة الحقول قليلة الاشجار فرأوا في شجرة منها اترانًا كبيرًا فلما رآهم نزل الى الارض فهجموا عليهِ يريدون امساكهُ فهرب منهم الى شجرة اخرى وكان يمشي وئيدًا ويستعين بيديهِ ولمَّا قرب من الشجرة وثب اليها باسرع من لمح البصر

وتمسك باغصانها. ولو كانت تلك البقعة ملوءة من الاشجار لكان اقتفاء اثره ضربًا من المحال لانهُ يثب من غصن شجرة الى غصن شجرة اخرى بسرعة تضاهي سرعة جياد الخيل ولكن كانت الاشجار قليلة فقطعوا بعضها لكي يتمكنوا منهُ واخذوا يطلقون عليهِ الرصاص حتى فرغ رصاصهم فظنوا ان قواهُ خارت من كثرة الجراح فقطعوا الشجرة التي كان فيها ولكنهُ انتقل منها الى غيرها قبل ان وقعت فقطعوا كل الاشجار واضطروهُ الى مبارزتهم على الارض وجعلوا يرمونهُ بالحجارة ويطعنونهُ بالرماح حتى اوردوهُ حتفهُ. ولمَّا كان على آخر رمق امسك قناة رمح غليظة وكسرها كانهُ يكسر جذر الجزر وكان يتوجع عند موتهِ توجعًا يفتّت الاكباد حتى ان قاتليهِ شعروا بانهم ارتكبوا جريمة القتل. وكان طولهُ نحو سبع اقدام وهو اكبر ما رُوي من نوعهِ. ولعلهُ ممَّا يسمَّى البُنغو لا من الأُران

وجلب القبطان مين أُرانًا كبيرًا من بورنيو وكان لا يستطيع الانتصاب الاَّ برمي يديهِ الى وراء ظهرهِ لكثرة ما كان محدودبًا. ولما أُتي بهِ الى السفينة لم يحاول الهرب ولكنهُ قلق قلقًا شديدًا عندما وضعوهُ في قفص من القصب الهندي فاخذ يشدُّ بالقصبات حتى كسرها وافلت من القفص فقيدوهُ بسلسلة وربطوها في حلقة كبيرة فنك السلسلة من الحلقة وسار على ظهر السفينة والسلسلة تجر وراءهُ وكانت طويلة فصار يطويها ويرميها على كتفهِ ولكنها كانت تقع وتجر وراءهُ ولما رآها لا تثبت على كتفهِ صار يحملها بيدهِ ويمشي بها ولم يمضِ عليهِ وقت طويل حتى الف البحرية وفاقهم سبقًا في الخفة. وكان اذا طاردوهُ وعجزوا عن سبقهم ماشيًا يتمسك بحبل من حبال السفينة ويدفع نفسهُ الى امد بعيد على جاري عادتهِ وهو في الغياض. وكان مولعًا بالقبطان فيتبعهُ حيثما ذهب ويفتش في جيابهِ ويأكل ما فيها ممَّا يؤكل ثم يتغطى بشيء من الشراع ويجلس بجانبهِ يوصوص عليهِ. وكان مغرمًا باللعب فلا يرُّ بهِ واحد من النوتية حتى يضربهُ بيدهِ ثم يثب من طريقهِ لكي يتبعهُ النوتي. وكان في السفينة قرود اخرى صغيرة فلم يكن يلتفت اليها ولكنهُ لما رأى النوتية يطعمونها طعامًا لم يطعموهُ منهُ اخذ قنصًا كان فيهِ ثلاثة منها واراد ان يطرحهُ في البحر ثم الف عليها نوعًا وصار يلاعبها العابًا غريبة. ومع كل ما ذُكر من لين عريكتهِ كان يظهر من شراسة الاخلاق اذا غضب ما لا يوصف فكان يكشر عن اسنانهِ ويمسك من يمكنهُ مسكهُ ويوجعهُ عضًّا. وكان اذا طلب ليمونة ولم يعطَها يصرخ صراخًا مهولاً ويترجح بالحبال مغضبًا ثم يعود يطلبها فاذا لم يعطَها في المرة الثانية يطرح على الارض ويأخذ يتمرغ كالولد الغضبان وهو يصرخ صراخًا مرًّا ثم ينهض ويذهب الى ناحية اخرى من السفينة ويختفي. واوَّل مرة فعل ذلك ظنوا انهُ طرح نفسهُ في البحر ولكنهم وجدوهُ بعد التفتيش مختفيًا تحت السلاسل. وفي احد الايام جيء بثماني سلاحف الى السفينة فلما وقع نظرهُ عليها خاف خوفًا شديدًا وصعد الى راس الدقل باسرع من لمح البصر واخذ ينظر اليها من هناك وهو يصرخ صراخًا بين قباع المختبر وتقيق الضفدع وبعد مدة تجاسر على

النزول ولكنهُ كان ينزل محترساً احتراساً ولم يدنُ منها وفعل مثل ذلك مرةً اخرى اذ رأى انساناً يغتسل في البحر ويضرب الماء بيديهِ. ولما وصل الى انكلترا تعلَّم ان يمشي منتصباً وان يقبّل صاحبهُ وكان مشيهُ منتصباً كثير التكلف

ومن اغرب حكايات الأُران ان خورياً اسمهُ كربسون كان عندهُ أُران مولع بهِ يتبعهُ حيثما ذهب ولذلك كان الخوري يقفل عليهِ باب بيتهِ عندما يذهب الى الكنيسة. وفي احد الايام كان يعظ في الكنيسة فرأى الشعب يضحكون فوبخهم على ضحكهم فازدادوا ضحكاً ففسى لهم الكلام وعنفهم بالتوبيخ والانذار فلم يكن منهم الاَّ انهم ازدادوا ضحكاً حتى لم يعوا على انفسهم وحينئذٍ قام واحد منهم واتى اليهِ واخبرهُ بواقعة الحال. وكان سبب ضحكهم ان الأُران افلت من حبسهِ واتى من وراء الكنيسة ودخل بغير ان يراهُ الخوري وجلس خلف المنبر غير منظور ولما اخذ الخوري يعظ طلَّ من فوق راسهِ واخذ يقلد حركاتهِ واشاراتهِ بما يعجز القلم عن وصفهِ وكان كلما احتد الخوري تضحك الشعب واكثر من الحركات والاشارات يجتهد هو ويمثلهُ في كل شيء. وقال ولس ان الشمبنزي والغورلاَّ اسودان مثل السودان الذين يسكنون في بلادها وان الأُران احمر او خمري مثل الناس الذين يسكنون في بلادهِ وانهُ كبير الجثة قوي البنية لا يعتدي على الانسان ولا على غيرهِ من الحيوان الاَّ دفاعاً عن نفسهِ وطعامهُ من الاثمار. وصورتهُ في الشكل الثاني

الغورلاَّ

وسُمّي كذلك متابعة ليوحنا القرطجني الذي ذهب الى شطوط افريقية الاستوائية سنة ٤٥٠ قبل الميلاد فقد قال في كتابهِ "اننا اتينا الى خليج يسمّى قرن الجنوب بعد ان قطعنا مجاري النار فاذا نحن بجزيرة مثل الاولى فيها بحيرة وفي البحيرة جزيرة اخرى مملوَّة من الناس الوحشيين واكثرهم اناث بابدان شعرانية وقد سماهم القراجمين غورلاَّت" ولكن لا دليل على ان الحيوانات التي رآها هي من نوع الغورلاَّ المعروف الآن لا من نوع الشمبنزي. والغورلاَّ يشبه الانسان كالشمبنزي ولهُ ١٣ زوجاً من الاضلاع مثلهُ ولكنهُ اكبر منهُ قدَّاً لان طول البالغ منهُ من خمس اقدام الى ست وقد يفوق ذلك وهو قوي جداً ودماغهُ صغير وعظام انفهِ بارزة ولذلك كان انفهُ اظهر من انف الشمبنزي. واصابعهُ قوية جداً ووجههُ مغطًّى بالشعر وصدرهُ عارٍ منهُ ورقبتهُ قصيرة وعيناهُ غائرتان وبطنهُ كبير بارز وطعامهُ من النباتات والاثمار وهو يكسر باسنانهِ الجوزة التي لا تكسر الاَّ بالمطرقة الكبيرة ولا يتأجَّل وقال بعضهم بل يتأجَّل قليلاً ولكن يكون في الاجل ذكر واحد وعدة اناث ويقضي اوقاتهُ على الارض وقد يتعرش الاشجار ولا يسكن الاَّ حيث الماء العذب ولا يخاف الكواسر وصوتهُ كالنباح واذا غضب صار كالزئير. وقال الاستاذ اون في وصفهِ ان فمهُ واسع وشفتيهِ كبيرتان وذقنهُ قصيرة وناباهُ الذكر كبيران مرعبان ولجفنيهِ اهداب

ولكن ليس له حاجبان واذناهُ صغيرتان وهما اصغر من اذني الانسان بالنسبة الى جسدهِ واصغر كثيرًا من اذني الشمبنزي ويداهُ ليستا اطول من يدي الانسان بالنسبة الى جذعهِ ولكنهما تظهران طويلتين

الشكل ٣

بالنسبة الى قصر ساقيهِ . وابهاما يديهِ طويلان وكفاهُ واظافرهُ مثل اظافر الانسان وفي قفا يدهِ شعر الى حد الاصابع وساعدهُ اثخن من ابهامهِ كثيرًا وراحتهُ خالية من الشعر وقدمهُ كيدهِ وابهام قدمهِ طويل قوي . وفي الشكل الثالث صورة غورلّا رأى حيّة ففتح فمهُ وزأر عليها . ولهُ حكايات كثيرة غريبة سنذكرها في الجزء القادم